بعض الكتابات التذكارية فى العصر العباسى بمكة المكرمة

بقلم : الدكتورة سعاد ماهر محمد
عميدة كلية الآثار بجامعة القاهرة وأستاذة
الدراسات العليا بكلية الشريعة والدراسات
الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

بعض الكتابات التذكارية من العصر العباسي بمكة المكرمة

من الطبيعي أن تحظى مدينة مكة التي شرفها وكرمها الله سبحانه وتعالى ببيته الحرام بعناية المؤرخين الذين تناولوها بالبحث والدرس والتنقيب على مر العصور ، فلم يتركوا شاردة ولا واردة مما هو موجود فيها أو متصل بها من قريب أو بعيد الا وكتبوا فيه المصنفات الطوال • الا أن أحدا منهم لم يعن عناية خاصة بتسجيل الكتابات التذكارية التي ذخرت بها آثارها وفي مقدمتها الكعبة المشرفة وغيرها من بيوت الله المنتشرة في أرجائها وخاصة تلك التي تسجل أحداثا ذات أهمية خاصة في تاريخ السيرة النبوية العطرة •

ولعل من أهم الآثار التي تحتفظ بكتابة تذكارية ترجع الى العصر العباسي الأول بيعة العقبة بمنى • وقد يكون من المفيد قبل أن نتناول تاريخ هذا بالبحث والتحليل ان نذكر شيئا عن بيعة العقبة التي تمت في البقعة التي أقيم عليها المسجد •

من المعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ظل حتى بعد حادثة الاسراء والمعراج ، يدعو الى دين الله ويأمر به كل من لقيه ورآه من العرب الى أن قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف من الأوس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، فلم يبعد ولم يجب ، ثم انصرف الى يثرب وقتل في بعض حروبهم (١) . كما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام أبا الحيسر أنس بن رافع الذي قدم مكة في فتية من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف (٢) فقال رجل منهم اسمه ايانس بن معاذ وكان شابا ، يا قوم هذا والله خير مما قدمنا له ، فضربه أبو الحيسر وانتهره فسكت ، ثم لم يتم لهم حلف فانصرفوا الى بلادهم .

وفي الموسم التالي للحج لقي الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة ، وهي موضع على يسار الطريق القاصد من منى من مكة ، ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج (٣) فدعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، فقال بعضهم لبعض ، هذا والله الذي تهددكم به اليهود فلا تسبقون اليه فأسلموا به وبايعوا . ثم أجابوا الرسول قائلين « انا قد تركنا قومنا بيننا وبينهم حرب فننصرف وندعوهم الى ما دعوتنا اليه فعسى الله أن يجمعهم بك . فان اجتمعت كلمتهم عليك وأتبعوك فلا أحد أعز منك » وانصرفوا الى المدينة ، فدعوا الى الاسلام حتى فشي فيهم ولم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت هذه بيعة العقبة الأولى (٤) سنة ٦٢١ م .

وفي العام الذي يلي العقبة الأولى قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلا منهم خمسة من الستة الذين حضروا البيعة الأولى ، وبايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء (٥) ، ولم يكن أمر بالقتال بعد . فلما انصرفوا بعث الرسول ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلم من أسلم منهم القرآن وشرائع الاسلام ويدعو من لم يسلم الى الاسلام . فأسلم على يد مصعب خلق كثير من الانصار ، فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها مسلمون . ثم رجع مصعب بن عمير الى مكة ، وهذه هي بيعة العقبة الثانية .

وفي موسم الحج الذي يلي بيعة العقبة الثانية سنة ٦٢٢ م خرجت جماعة كبيرة ممن أسلم من الانصار يريدون لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، في جملة قوم كفار منهم لم يسلموا بعد فوافوا مكة ، فواعدوا الرسول عند العقبة من أواسط أيام التشريق ، فلما كانت تلك الليلة خرجوا في ثلث الليل الأول متسللين من رحالهم الى العقبة ، فبايعوا الرسول عندها على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم وأن يرحل اليهم هو

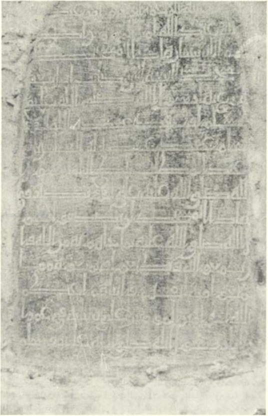

اللوحة رقم (١)

وأصحابه ٠ وحضر العباس عم الرسول ، العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومؤكدا على أهل يثرب ، وكان يومئذ على دين قومه لم يسلم٠ وكان العباس أول من تكلم فقال :« يا معشر الخزرج ان محمدا منا حيث علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ٠ فان كنتم ترون انكم وافون له فيما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ٠ وان كنتم مسلميه وخاذليه بعد خروجه اليكم فمن الآن فدعوه » قال اليثربيون « سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. فأجاب محمد صلوات الله عليه ، بعد أن تلي القرآن ورغب في الاسلام : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فمد البراء بن معرور سيد قومه وكبيرهم يده على ذلك وقال : « بايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر » ٠

وكان المبايعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة أو البيعة الكبرى سبعين رجلا وامرأتين ٠

مسجد البيعة :

يقع مسجد البيعة بقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة وهو وراء العقبة في شعب على يسار الذاهب من مكة الى منى ٠ وكما كانت منى تقع الى الشمال الشرقي من الكعبة المكرمة لذلك فان حائط القبلة لمسجد العقبة يقع في الضلع الجنوبي الغربي منه ٠ وتجمع المراجع (٦) التاريخية التي تناولت دراسة مكة المكرمة والمسجد الحرام ، على أن مسجد البيعة سمي بهذا الاسم ، لوقوعه في شعب العقبة حيث التقى الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل يثرب من قبيلتي الأوس والخزرج ، وتمت البيعات الثلاث على تفصيل ما سبق ٠ وتخص بالذكر بعض تلك المراجع التي أشرنا اليها ، بيعة العقبة الكبرى وهي التي تمت بحضرة العباس بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام ٠ وفي اعتقادنا أن هؤلاء المؤرخين انما خصوا بالذكر البيعة التي حضرها العباس ، ذلك أنه لم يعن أحد باقامة مسجد في تلك البقعة بالعقبة قبل الدولة العباسية التي أرادت أن تبرز دور العباس ، الذي تنتسب اليه واستمدت منه أحقيتها في الخلافة ، في توطيد أركان الدين الاسلامي بالمشاركة في بيعة العقبة الكبرى التي كان لها أثر أي أثر في تاريخ الدعوة الاسلامية ٠

ولعل المؤرخ الوحيد الذي أرخ لمسجد العقبة ووصفه وان كان وصفا موجزا هو تقي الدين الفاسي (٧) من علماء القرن التاسع الهجري فقد توفي سنة ٨٣٢ هـ . فقد جاء في وصفه ، أن المسجد بقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة ويبلغ طوله (١٦ر٣٨) ذراعا (٨) بذراع الحديد ، وان به رواقين كل منهما مسقوف بثلاث قبب على أربعة عقود . وان له بابين في الجهة الشمالية والجهة الجنوبية . ويصف تقي الدين الفاسي حالة المسجد في عهده أي في القرن التاسع الهجري فيقول : ان المسجد متخرب الآن وأن فيه حجرين مكتوب في أحدهما (أمر عبدالله أمير المؤمنين أكرمه الله ببنيان هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقد عقده له العباسي بن عبد المطلب رضي الله عنه .

وفي الحجر الثاني كما يقول الفاسي ، تعريفه بمسجد البيعة وأنه بني في سنة ٢٤٤ هـ . ويؤرخ تقي الدين الفاسي لمنشيء هذا المسجد فيقول « وأمير المؤمنين المشار اليه هو أبو جعفر المنصور العباسي ، وعمره أيضا المستنصر العباسي . ويؤكد الفاسي عمارة الخليفة المستنصر لمسجد البيعة فيقول « ووجدت ذلك في حجر ملقى حول هذا المسجد لتخربه وفيه أن ذلك (أي ذلك التعمير كان) سنة ٦٢٩ هـ » .

ونحن اذ نتفق مع تقي الدين الفاسي على أن مسجد البيعة قد أنشيء في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء الدولة العباسية ، ومن المرجح أن يكون ذلك قد تم عندما جاء الى الحجاز لتأدية فريضة الحج وبعدما تمت العمارة التي أمر بها ببيت الله الحرام سنة ١٤٠ هـ أمر بانشاء مسجد البيعة . أقول نحن اذ نتفق مع الفاسي على أحد الحجرين الموجودين بالمسجد ، ذلك أن سنة ٢٤٤ هـ لا تقع في حكم أبي جعفر المنصور بل تقع في حكم الخليفة المتوكل. على أنه من الثابت أن الخليفة المتوكل لم يقم بعمل عمراني في المسجد الحرام أو في مكة المكرمة ، الأمر الذي قد يرجع معه أنه قام بتعمير مسجد البيعة ، اذ من المتفق عليه أن الخليفة العباسي الذي قام بعمارة المسجد الحرام بعد الخليفة المهدي هو المعتمد العباسي سنة ٢٧١ هـ .

فقد ذكر باسلامة نقلا عن الفاسي ، انه حدث في عصر الخليفة المعتمد ان انهدمت اسطوانتان من أساطين المسجد فلما رفع أمير مكة يومئذ هارون ابن اسحق ذلك الأمر الى بغداد أمر الموفق بالله أخو الخليفة بعمارة ما تهدم من المسجد الحرام وقد تم ذلك في سنة ٢٧٢ هـ وركب لوحين من الحجر في جدار المسجد الحرام الى جوار باب ابراهيم نقش عليهما اسم الموفق ولي عهد

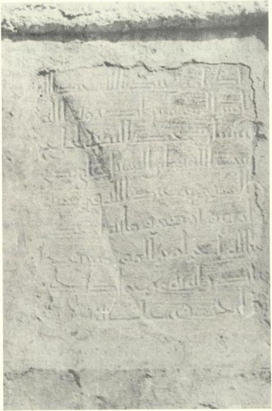

اللوحة رقم (٢)

المسلمين وتاريخ التعمير (٩) سنة ٢٧٢ هـ · وقد ذكر قصب الدين (١٠) الحنفي ان الحجرين لا وجود لهما في عهده أي في نهاية القرن العاشر الهجري ذلك أن قطب الدين قد توفي سنة ٩٨٨ هـ · وقد ذكر قطب الدين أنه نقل الكتابة المنقوشة على الحجرين في كتابة الاعلام من كتاب تاريخ مكة للامام أبي عبدالله محمد بن اسحق الفاكهي ·

ومن العمارات التي قامت بها الدولة العباسية، هي زيادة دار الندوة (١١) في عهد الخليفة المعتضد سنة ٢٨١ هـ ، فقد وصل الى علم كاتب الخليفة الوزير عبدالله بن سليمان بن وهب من سدنة الكعبة ، أن جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وان الرخام المفروش في أرضها قد تكسر ، وان الذهب الذي كان يكسو عضاضتي والمصفح به با بالكعبة من أسفل ومن أعلى قد أخذ وجعل بدلا منه فضة مموهة بالذهب · فدفع ذلك كله الى الخليفة وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها ، فأمر الخليفة المعتضد باجراء كل ذلك · وقد ذكر علي (١٢) بن عبد القادر الطبري تاريخ الفراغ من تلك العمارة بقوله « وفرغ من عمارتها في ٢٨٤ هـ » ·

أما آخر عمارة تمت في عهد الدولة العباسية فهي زيادة باب ابراهيم ، فقد ذكر الحافظ نجم الدين في حوادث سنة ٣٠٦ هـ ، وفيها زاد قاضي مكة يومئذ محمد بن موسى في الجانب العربي سبعة وخمسين ذراعا الا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة اثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع · ولكن لم يذكر الحافظ نجم الدين اسم الخليفة التي تمت في عهده ، وان كان قد ذكره قطب الدين ، فقال : ومن جملة محاسن الخليفة المقتدر بالله العباسي انه زاد في المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم · ويؤيد هذا قول باسلامة فيقول : « هذا منتهى ما بلغت اليه زيادة المسجد الحرام من يوم ابتدأ بزيادته أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى زيادة المقتدر بالله العباسي الذي تقدم ذكره (باب ابراهيم) · ثم يختم باسلامه الاصلاحات والزيادات التي تمت في العصر العباسي فيقول « والى هنا (أي سنة ٣٠٦) قد انتهى عمل خلفاء العباسيين في عمارة المسجد الحرام من زيادة وانشاء فجزاهم الله تعالى عن حسن أعمالهم خير الجزاء » (١٣) ·

من هذا السرد التاريخي الموجز لما تم من أعمال معمارية من زيادة واصلاح وترميم يتضح لنا ان لم تذكر المراجع شيئا عن أي عمارة قام بها خلفاء الدولة العباسية بعد أوائل القرن الرابع الهجري سنة ٣٠٦ هـ · ومن ثم فاننا نقف في حيرة أمام ما ذكره تقي الدين الفاسي عند حديثه عن مسجد البيعة اذ

قال « وعمره أيضا المستنصر العباسي ، ووجدت ذلك في حجر ملقى حول هذا المسجد لتخربه وفيه ان ذلــك سنة ٦٢٩ هـ » · وكل الذي يمكــن أن نرجعه بالنسبة لهذه اللوحة التذكارية ، ان الخليفة المستنصر العباسي لم يقم بعمارة تذكر في المسجد الحرام ، اللهم الا عمارة الرخام في الحرم المكي التـــي ذكرها الجزيري (١٤) في عبارة غير مؤكدة ، فقال « وفي سنة تسع وعشرين وستمائة في غالب الظن من قبل المستنصر العباسي » ·

وفي اعتقادي أن تقي الدين الفاسي لولا رؤيته وقراءته للوحة التذكارية الملقاة حول المسجــد والمسجل عليهــا اسم الخليفة العباسي وتاريــخ التعمير سنة ٦٢٩ هـ لما حرص على ذكر هذه العمارة أيضا ، خاصة وأنه المؤرخ الوحيد الذي عنى عناية خاصة بوصف مسجد البيعة (١٥) ·

وعند زيارتي لمسجد البيعــة سنة ١٣٩٠ هـ / سنة ١٩٧٠ م وجدت أن مسجد البيعة ما يزال يحتفظ حتى الآن بلوحين تذكاريين أعتقد أنهما نفس اللوحين الحجريين الذي رآهما تقي الدين الفاسي سنة ٨٣٢ هـ وان كنت أعتقد أنهما ليسا في موضعهمــا الأصلي ، فقد وجدت أحدهما في حائط القبلــة من الخارج داخل اطار نافذة الحنية اليمنى للمحراب والأخر في الضلع الجنوبي الشرقي للمسجد ·

وصف اللوح الأول : لوحة رقم (١) :

يقع هذا اللوح في الضلع الجنوبي الغربي لمسجد البيعة من الخارج ، أي في ظهر جدار القبلة ، واللوح موضوع داخل عقد نافذة مسدودة في الحنية اليمنى للمحراب المكون من ثلاث حنيات ، مما يدل على أن اللوح نقل من مكانه الأصلي ووضع في المكان الحالي · ويبلغ مقاس اللوح ٩٣ سم × ٥٧ سم ، وقد حفر عليه حفرا بارزا ، بالخط الكوفي البسيط ، يرجع الى القرن الثاني للهجرة في خمسة عشر سطرا النص التالي :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم أمر عبد
٢ ــ الله عبدالله أمير المؤمنين اد (١)
٣ ــ مه الله ببنيان هاذا (كذا) المسجد
٤ ــ مسجد البيعة التي كانت أول بيعة

٧٦ سم) تعلوها خمسة عقود مدببة ، فيما عدا العقد الأخير من الجهة الشرقية، فعقده (ذو زاوية منكسرة) (Keel-areh) • ومن الواضح أن هذا العقد قد رمم أو قوي فيما بعد ، الأمر الذي جعله مخالفا لباقي عقود هذا الرواق • ويبلغ ارتفاع هذه العقود عن أرضية المسجد أربعة أمتار تقريبا (لوحة رقم ٣)

أما الرواق الثاني فيقع في نهاية المسجد موازيا للضلع الشمالي الشرقي، وقد سقطت دعائمه وعقوده ولم يبق منه سوى شكل مصطبة ترتفع عن أرضية المسجد بمقدار ٢٥ سم تقريبا ويبلغ عرضها (٦ر٣) مترا • أما طولها فيبلغ (٣ر١١) مترا فقد قوي جانبيها الشرقي والغربي بجدران ساندة تبرز كل منها عن سمت جدران المسجد الجانبية بمقدار (٢٥ر١) مترا تقريبا •

وليس للرواقين الآن سقف اللهم الا ارتفاع جدران الرواقين من الجهة الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية بمقدار متر ونصف عن جدران الصحن (لوحة رقم ٣) • كما أنه لا يوجد ما يدل على شكل هذه السقوف وان كنا لا نستبعد ماذكره تقي الدين الفاسي في القرن التاسع الهجري سنة ٨٣٢ هـ من أن كل رواق كان مغطى بأربعة قباب سقط جميعها الآن ولم يبق لها أثر يمكن الاستدلال منه على شكلها ، كبداية أرجلها عند اتصالها بالدعائم أو مقرنصات الأركان أو شيء من هذا القبيل •

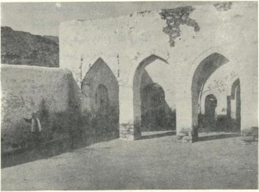

اللوحة رقم (٣)

٥ ـ بويع بها رسول الله صلى الله عليه
٦ ـ وسلم أول عقد عقده الله في الا
٧ ـ سلم عقد عقده له العباس بن
٨ ـ عبد المطلب تلك الليلة لرسول
٩ ـ الله صلى الله عليه على الا تصادوا
١٠ ـ هذا المسجد (و) ان تصدقوا رسو
١١ ـ ل الله صلى الله عليه بما جاهم به من الله وا
١٢ ـ ن تسمعوا له وتطيعوا وتمنعوه مما
١٣ ـ تمنعوا منه أنفسهم (كذا) وابناءهم (كذا) أعطم
١٤ ـ الله أجر أمير المؤمنين على بنيانه وعمر
١٥ ـ ته اياه (و) ورسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

اللوحة الثانية (اللوحة رقم ٢) :

١ ـ أمير أمر عبدالله عبدالله
٢ ـ أمير المؤمنين أكرمه الله
٣ ـ ببنيان مسجد البيعة لحاج
٤ ـ بيت الله المبارك على يدي
٥ ـ الحارثي بن عبيد (١٦) الله في سنة
٦ ـ أربع وأربعين ومابة أعظم
٧ ـ الله أجر أمير المؤمنين وقـ
٨ ـ ـدر أمته (على) حمل (كلمته)
٩ ـ وأحمده عليـه

الوصف المعماري للمسجد [شكل تخطيط رقم (١) ، (٢) ، (٣)] :

يتكون المسجد الحالي من مستطيل تبلغ مساحته (٢٣) مترا طولا في (٨ر١٣) مترا عرضا ، يتوسطه صحن مكشوف ٠ ويحتوي على رواقين أحدهما موازي لحائط القبلة في الجهة الجنوبية الغربية وتبلغ سعته (٦ر٤) مترا ٠ ويتكون الرواق من أربع دعائم مربعة تقريبا اذ تبلغ مساحة كل منها (٨٦ ×

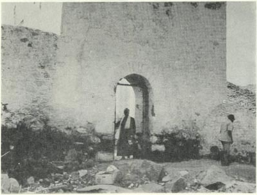

اللوحة رقم (٤)

ويقع مدخل المسجد الآن في الركن الجنوبي الغربي للمسجد ، يدخل منه الى الرواق الموازي لحائط القبلة ، ومن الواضح انه كان في الأصل نافذة فتحت حديثا لتحل محلها الباب الأصلي خاصة وانه يقابله في الضلع المقابل أي الجدار الجنوبي الشرقي نافذة معقودة بعقد مماثل لعقد المدخل الحالي وفي نفس الرواق وقد سد جزء كبير منه (لوحة ٤) ، ومن المرجح أن تكون الفتحتان المعقودتان اللتان في الضلع الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي هما المدخلان الرئيسيان للمسجد • ويؤيد هذا الترجيح ما ذكره الفاسي من أن للمسجد بابين في الجهة الشمالية والجهة الجنوبية • وقد سدت هذه الفتحات لتصدع الجدران كما سدت النوافذ الموجودة في الضلع الشمالي الشرقي للمسجد اللتان تفتحان على المصطبة الحالية •

ويتوسط جدار القبلة محراب عميق مكون من ثلاث حنيات المتوسطة منها اوسعها وتبرز عن سمت جدار القبلة من الخارج وعلى جانبيها حنيتان صغيرتان ، والحنايا الثلاث معقودة • ويحيط بهذا المحراب ذي الثلاث حنايا عقد كبير مدبب منفرج يرتكز على دعائم ساندة تبرز كثيرا عن جدار القبلة •

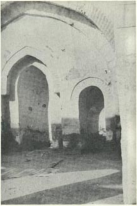

اللوحة رقم (٥)

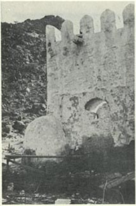

اللوحة رقم (٦)

ويكتنف هذا المحراب ذي الثلاث حنايا ، حنيتان عميقتان تعلوهما عقود مدببة ترتكز على نفس الدعامتين الساندتين السالف الاشارة اليهما . وقد فتح في هاتين الحنيتين نوافذ معقودة سدت معظمها ولم يبق منها غير فتحات ضيقة غير منتظمة مما يدل على أنهما فتحتا حديثا (لوحة رقم ٥) .

والمسجد مبني من الحجر غير المشذب وقد كسيت الجدران بطبقة من الملاط الأبيض زال الكثير منها الآن . أما عقود النوافذ والفتحات وكذا الأروقة فمبنية من الآجر بشكل زخرفي جميل . ويبدو أن جدران المسجد كان يعلوها شرفات سقط معظمها ولم يبقى منها غير شرفات حائط القبلة التي يبلغ عددها ثلاث عشرة شرفة بسيطة الشكل . وقد قوي جدار القبلة من الخارج من أسفل بدعامتين ساندتين مستديرتي الشكل (لوحة رقم ٦) .

★★★

أما الكتابة التذكارية الثانية التي ترجع الى العصر العباسي بمكة المكرمة ، فهي المحفوظة بالكعبة المشرفة ، اذ ما يزال يحتفظ الحرم المكي بأربعة اسطوانات سجل عليهما تاريخ زيارة الخليفة محمد المهدي العباسي بالمسجد

الحرام . فقد اجمعت المراجع التاريخية التى تناولت تاريخ عمارة المسجد الحرام ان زيارة الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور هي الزيارة السادسة للمسجد الحرام وانها كانت تعادل جميع الزيادات التي زيدت بالمسجد الحرام من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى نهاية زيادة أبي جعفر المنصور ·

وقد جاء في وصف زيادة المهدي للحرم في المرة الأولى التي تمت سنة ١٦٤ هـ ، ان الخليفة أمر بنقل الأساطين الرخام من الشام ومصر فنقلت وحملت بحرا الى قرب جدة في موضع كان ساحلا لمكة المكرمة في العصر الجاهلي يقال له (الشعيبية) لأنه مرساة أقرب لمكة من مرسى جدة · ثم حملت تلك الأساطين الرخامية من الساحل المذكور على العربات ذات العجل الى مكة · ولما حج الخليفة محمد المهدي في عام أربع وستين ومائة ، شاهد الكعبة المعظمة فرآها بعد تلك السعة قد صارت الى الجهة الجنوبية حيث قد اتسع المسجد الحرام من الجهة الشرقية والشمالية والغربية ولم يتسع المسجد الحرام من الجهة الجنوبية كما ينبغي ·

فلما رأى ذلك الخليفة المهدي دعا المهندسين وقال لهم « لا بد أن أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الأموال · وقد تمت الزيادة الثانية على يدي يقطين بن موسى وابراهيم بن صالح · وفي ذلك يقول الحافظ نجم الدين ما يلي في حوادث سنة سبع وستين ومائة : ــ وفيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة الثانية للمهدي ، كما هدموا ما بين الصفا والوادي من الدور ، وهو الآن الطريق الذي يمر منه ابتداء من باب بني هاشم ، ويقال له الآن باب علي رضي الله عنه · ووسع المسجد منه الى أسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا الباب ، باب في المسجد يعرف الآن بباب حزورة (١٧) ·

ويقول تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام : « واسم المهدي مكتوب في مواضع من المسجد الحرام منها قرب المنارة المعروفة بمنارة باب علي التي فيها الميل » ·

وقال ابن بطوطة في رحلته : « وفي أعلى جدار البلاط (أي الرواق الغربي) مكتوب عليه « أمر عبدالله محمد المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله بتوسعة المسجد الحلرام لحاج بيت الله وعمارته في سنة سبع وستين ومائة » ·

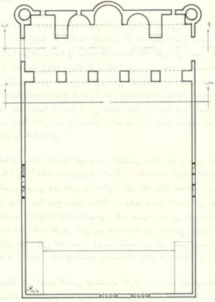

شكل رقم (١) جامع بيعة العقبة بمني – مكة المكرمة
المسقط الافقي ١ : ٥٠٠
عمل : د. سعاد ماهر

ويضيف باسلامة (١٨) فيقول : « وهذه الكتابة التي ذكرها الفاسي وكذا الطبري قد أزيلت عند تجديد عمارة المسجد الحرام من قبل السلطان سليم بن السلطان سليمان وابنه مراد سنة ٩٨٤ هـ » ·

ونحن لا نتفق تماما مع ما ذكره باسلامة من أن الكتابة التي تسجل تاريخ زيادة الخليفة المهدي قد أزيلت تماما في العصر العثماني ولكن قد يكون بعض الكتابات التي نقشت أعلى الأروقة ، كما جاء في نص ابن بطوطة قد زالت ، لكن المسجد الحرام ما يزال يحتفظ حتى الآن بأربع اسطوانات قد نقش عليها بخط كوفي جميل اسم الخليفة المهدي وتاريخ تلك العمارة · كما أحيطت هذه الكتابة بأشرطة متعددة تحتوي على زخارف نباتية غاية في الدقة والاتقان وتمثل أسلوب الزخرفة على الخشب والحجر والرخام في القرن الثاني للهجرة أحسن تمثيل وهو الأسلوب والطراز الذي عرف في تاريخ الزخرفة الاسلامية باسم الطراز الأموي السابق لطراز سامراء بفترة وجيزة تقرب من نصف قرن من الزمان ·

وصف الأسطوانات :

تقع هذه الأسطوانات في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد الحرام بالقرب من الصفا وخلف الباب الذي بناه السلطان مراد العثماني سنة ٩٨٤ هـ ، والذي يعرف باسم باب الصفا ·

والأسطوانات الأربع من الرخام ، ويتكون كل منها من قاعدة مرتفعة ، أما بدن الأعمدة فأسطواني الشكل · ومعظم الأعمدة متصدعة في عدة مواضع وقد قويت بأحزمة ربط من الحديد · أما تاج العمود فهو كورنثي الطراز ويمثل تيجان الأعمدة في العصر البيزنطي في القرنين السابع والثامن للميلاد · وهذا الطراز من يتجان الأعمدة كان منتشرا في مصر والشام طوال العصر الأموي والعباسي الى ما قبل نشأة طراز سامراء ·

ويتكون التاج من أوراق الأكانس (Acant9us) أو شوكة اليهودي المنثنية مع وجود مخدرات حلزونية في الأركان على الطراز اليوني ، وهذا يؤكد ما ذكره المؤرخون من أن الخليفة المهدي أمر بنقل الأساطين الرخام من الشام ومصر الى مكة لتوسعة الحرم الشريف ·

وما يزال الحرم الشريف يحتفظ بالمئات من هذه الأعمدة الرخامية التي جلبها المهدي من مصر والشام . أما النصوص التي نقشت على هذه الأسطوانات ففيما يلي بيانها :

الأسطوانة الأولى ـ الكتابة محفورة حفرا بارزا ومكتوبة بالخط الكوفي ومطلية بالفضة :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ ان الله وملائكته يصلو
٣ ـ ن على النبي يا أيها الذين
٤ ـ آمنوا صلوا عليه و
٥ ـ سلموا تسليما اللهم صلي
٦ ـ على محمد عبدك و
٧ ـ نبيك وصفيك أفضل
٨ ـ ما صليت على أحد من
٩ ـ خلقك اللهم صلي على
١٠ ـ محمد وعلى آل محمد
١١ ـ وارحم محمدا وآل
١٢ ـ محمد وبارك على محمد
١٣ ـ كما صليت ورحمت وباركت
١٣ ـ على ابراهيم وآل ابراهيم ا
١٥ ـ نك حميد مجيد
١٦ ـ عمل الكوفيين

الأسطوانة الثانية ـ مطلية كذلك بالفضة :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ أمر عبدالله محمد

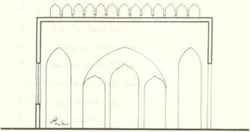

شكل رقم (٢) قطاع رأسي ا . ب

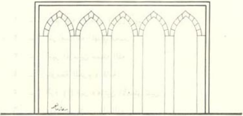

شكل رقم (٣) قطاع رأسي حـ . د
عمل : د. سعاد ماهر

٣ ـ المهدي أمير المؤمنين
٤ ـ حفظه الله باقامة هاتين
٥ ـ الأسطوانتين علما لطريق
٦ ـ رسول الله صلى الله عليه
٧ ـ وسلم الى الصفا ليتأسا
٨ ـ به حاج بيت الله وعباده
٩ ـ بها عظم الله قدرة المهدي
١٠ ـ أمير المؤمنين وأطال بقاءه .
١١ ـ على يدي يقطين بن
١٢ ـ موسى وابراهيم
١٣ ـ ابن صالح في سنة
١٤ ـ سبع وستين ومأية
١٥ ـ مما عمل أهل الكوفة

الأسطوانة الثالثة

١ ـ بسم الله الرحمن [الر] حيم
٢ ـ أمر عبدالله المهدي محمد
٣ ـ أمير المؤمنين حفظه الله
٤ ـ بتوسعة الحرم واقامة
٥ ـ الرو [ا] قين وهاتين الأسطوانتين
٦ ـ علما لطريق رسول الله
٧ ـ صلى الله [عليه] وسلم
٨ ـ الى الصفا عمل أهل الكهف

الأسطوانة الرابعة :

١ ـ بسم الله الر ...
٢ ـ أمر عبدالله ...
٣ ـ أمير المؤمنين ...
٤ ـ بتوسعة الحرم ...
٥ ـ الرواقين وهاتين ...
٦ ـ علما لطريق ...
٧ ـ صلى الله عليه ...
٨ ـ الى الصفا عمل ...

* * *

المصادر والهوامش

١ ـ كان قتله قبل يوم بعاث كما جاء في ابن هشام نقلا عن ابن اسحق جـ٢ ص ٦٩ ، ابن عبد البر في الدرر ص ٧٠ (هامش رقم ٢) .

٢ ـ المقصود بالحلف هنا هو حلف قريش على بني الخزرج خصوم الأوس قبيلتهم ، فقد كانت الحرب والمعارك قد اضطرمت بين القبيلتين .

٣ ـ كانت بينهم سيدة هي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

٤ ـ ابن عبد البر ـ (الدرر ص ٧٠) وقد سمي ابن هشام في جـ٢ ص ٧٣ العقبة الثانية باسم العقبة الأولى كانه لم يعقد بالعقبة الأولى . وانظر ايضا سعد جـ١ ق١ ص ١٤٧ ، الطبري جـ٢ ص ٣٥٥ ، صحيح البخاري جـ١ ص ٨ ، جـ٥ ص ٥٤ ، ابن حزم ص ٧١ ابن كثير جـ٣ ص ١٥٠ ، ابن سيد الناس جـ١ ص ١٥٦ ، النويري جـ١٦ ص ٣١٢ .

٥ ـ تعقيب ابن عبد البر على هذه البيعة باسم بيعة النساء ، اي انهم لم يبايعوه على القتال فهي بيعة كبيعة النساء حينئذ على الدخول في الاسلام ص ٧٢ هامش (٥) تحقيق شوقي حنيف .

٦ ـ الأزرقي : اخبار مكة وما جاء بها من الآثار ـ تحقيق رشيد ملحس جـ٢ ص ٢٠٥ ، محب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ص ٦٦٤ . ابن ظهيرة القرشي : الجامع اللطيف في فصل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ص ٣٢٣ . تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام باخبار بيت الله الحرام . قطب الدين الحنفي : كتاب الاعلام في اعلام بيت الله الحرام . ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين جـ١ ص ٣٢٧ . طاهر الكردي : كتاب التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم جـ١ ص ٣٠٠

٧ ـ ذراع الحديد : مقياس استعمل في العصر الاسلامي ومقداره (٥ر٥٦ سم) وعلى ذلك يكون طول المسجد في القرن (٩) هـ) (٥ر٢٠) مترا تقريبا .

٨ ـ الفاسي : شفاء القرام باخبار بلد الله الحرام .

٩ ـ القاسي : شفاء الغرام جا ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، حسين عبدالله باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام (تحقيق عبد الجبار) ص ٧٠ ، ٧١ .

١٠ ـ قطب الدين : الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٥٣ .

١١ ـ القاسي : جا ص ٢٣٢ . باسلامة : ٧٢ .

١٢ ـ الحافظ نجم الدين : اتحاف الورى باخبار أم القرى ص ٧٦ .

١٣ ـ باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٧٩ ـ ٨٠ .

١٤ ـ عبد القادر الانصاري الجزيري : درر الفوائد ص ٢٠ .

١٥ ـ ذكرت هذه العمارة أيضا في مرآة الحرمين جا ص ٣٢٨ نقلا عن القاسي .

١٦ ـ كان زياد بن عبيدالله الحارثي امير مكة المكرمة من قبل الخليفة ابي جعفر المنصور من سنة ١٣٧ ـ ١٤٣ هـ .

١٧ ـ يقول حسين بن عبدالله باسلامة في كتابه تاريخ عمارة المسجد الحرام : ان هذا الباب يعرف الآن باسم باب الوداع .

١٨ ـ باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ص ٥٨ .